ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Akram Saud Hachim

Prof. Dr. Hamid Siraj

University of Basra College of Education for Humanities

Email:
Akramalrekabi779@gmail.com
07815623023

Keywords:

aljahilia , residue , Intolerance , Envy , Despair of leadership , The political factor

Article info

Article history:
Received 15.Oct.2022
Accepted 17.Dev.2022
Published 1.Feb.2023

The cofactors for instilling the habits of Aljahilia in Muslim's personality during the Prophet era

A B S T R A C T

Dealing ,with Islam as a approach of life and dealing with the Prophet Mohammad as an impeccable leader for the missionary line in the community lived a life of Aljahilia, considers very difficult because it is related to accumulated remains for many years. These remains formed beliefs and attitudes needed to be adapted and refined. The Prophet tried to form a new thought that contradicted these beliefs, habits and behaviors in Pre- Islamic community. This research tries to focus on the main factors for instilling these Pre- Islamic habits in Muslim personality during The Prophet's era and stand on their reality and their existence. I hope that I would be successful in this research.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol50.Iss1.3426

العوامل المساعدة على ترسّخ عادات الجاهلية في شخصية المسلم زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

الباحث: اكرم سعود حاجم[1] **أ.د. حميد سراج جابر**

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الانسانية

ملخص البحث

ان التعاطي مع الاسلام كمنهج حياة ، والتعامل مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كقائد معصوم للخط الرسالي في مجتمع كان يعيش حياة جاهلية بمعنى الكلمة ، يعد غاية في الصعوبة، لكونه يتعلق بترسبات متراكمة لسنين طويلة ، تكونت جرائها معتقدات وطباع بحاجة الى ترويض وتهذيب، ليتسنى من خلال ذلك بناء فكر جديد يناقض في كثير من معتقداته وسلوكياته العادات الجاهلية السالفة، ويحاول هذا البحث الخوض في العوامل المساعدة على ترسّخ العادات

(١) بحث مستل من اطروحة الدكتوراه (رواسب الجاهلية وانعكاساتها في عقلية المسلم زمن الرسول (صلى الله عليه وآله)).

الجاهلية في شخصية المسلم زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والوقوف على حقيقتها وسبب وجودها، ونسأل الله تعالى ان يوفقنا في الوقوف على هذه العوامل وبيان دورها في ترسّخ العادات الجاهلية، ومن الله التوفيق

الكلمات المفتاحية: الجاهلية ، رواسب ، العصبية ، الحسد ، اليأس من الزعامة ، العامل التاريخي ، العامل السياسي .

المقدمة

لقد كانت بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالمنهج الإلهي الكامل تمثل اكبر نقلة نوعية تحدث في المجتمع العربي آنذاك ، إذ كان الطابع العام لحياة الناس هي البداوة بكل ما تحمل من معاني القسوة والسفه والطيش والظلم ، لقد كانت شريعة الغاب هي السائدة ، والبقاء فيها للأقوى ، حتى جاءت الشريعة المحمدية بالخير للجميع ، وجعلت الفرد لا يفكر بنفسه واهله فحسب ، وإنما يحمل هم المجتمع ككل ، فأرسى دعائم الأخوة والمحبة والإيثار ، الا ان هذا التغيير لم يكن ليتم بين ليلة وضحاها ، وعلى الرغم من انصهار قسم من المسلمين وذوبانهم في الاسلام ، وتخلقهم بأخلاقه ، الا ان مخلفات الحياة الجاهلية ما زالت قابعه في نفوس قسم من المسلمين ، وساعد على ترسّخها في قلوبهم ، وظهورها الى السطح عوامل عديدة يعود قسم منها الى طبيعة الانسان بصورة عامة ، في حين يتعلق قسم آخر منها بطبيعة العربي، وما اكتسبه من مجتمعه وبيئته، لذا عملنا في هذا البحث على القاء الضوء على اهم هذه العوامل ، والتي تناولنا فيها العامل النفسي المتعلق بطبيعة العربي واهم السمات التي تتميّز بها شخصيته ، وطبيعة تعامله ، ومدى انقياده وانصياعه للقائد ، والصراع الداخلي بين ال (أنا) وبين ال (نحن) ، وبينا دور العامل التاريخي ، والمنظومة الفكرية والعقدية والاخلاقية التي تكونت لديه خلال عصور متطاولة ، ثم اشرنا الى العامل السياسي، سواء كان على الصعيد الخارجي والدور الذي تقوم به القوى المحيطة ببلاد العرب، او على الصعيد الداخلي وما يقوم به المتخاذلون والمنافقون ، من أجل أذكاء وإشاعة روح الجاهلية في داخل المجتمع المسلم، ثم خرجنا بعدد من الملاحظات والنتائج حول هذا الموضوع.

ان ظهور رواسب الجاهلية في شخصية المسلم زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحدث اتفاقا ، وانما كانت هناك عوامل ساعدت على ترسخ هذه العادات الجاهلية ، والتي يمكن اجمالها بما يلي:

اولاً: العامل النفسي:

لا ريب ان للعامل النفسي دور كبير في سلوك الفرد، لما يشكله من محركية باتجاه الفعل او النفور منه، وهو شديد التأثر بالمجتمع والبيئة التي ينشأ فيها الإنسان، ومعايير الحسن والقبح التي تحكم مجتمعه، والأخلاق التي تربى عليها، والقيم والمثل التي يؤمن بها، فتتبلور نتيجة لذلك طريقة تعامله مع الاحداث التي تواجهه، وهنا سنسلط الضوء على تلك الجوانب من الشخصية العربية ودورها في ترسخ الجاهلية، وكما يأتي:

١ـ طبيعة العربي

يصف (أوليري) العربي انه ((... شديد الشعور بكرامته وحريته، ثائر على كل سلطة ... مخلص لتقاليد قبيلته)) (احمد،أمين، ١٩٣٣م،ص٤٤)، ولعل المعنى الأوضح الذي نستشفه من كلام أوليري (شديد الشعور بكرامته) هو الأنفه والغرور التي يتصف بها العربي، وهي عبارة تعطي انطباعا واضحا عن شدة الانفعال لأدنى تصرف او قول يصدر من الآخرين، يستشعر منه انتقاصا أو إهانة وإن لم تكن مقصودة، وثورانه على كل سلطة يمثل الفوضوية وعدم انصياعه لقانون يتعارض مع قانونه الخاص، وكذا فإن مفهوم العصبية اكثر دقة من مفهوم الإخلاص للقبيلة، وربما هذا ما يُفهم

من وصف بعضهم للعربي بكونه متوحش ينهب ما تقع عليه عينه سلّاب، يصعب ان ينقاد لرئيس (ابن خلدون، ١٣٩١ هـ ، ١/ ١٤٩-١٥١).

ان هذه الصفات وان كانت لا تنطبق بتمامها على العربي، إلا انها قريبة من الواقع الذي يعيشه، لذا من الطبيعي انه لم يكن يمر عليه يوم دون ان يفكر في بناء مجد شخصي له ولقبيلته ومأثرة لأبنائه من بعده، كيف يمكن له وهو السيد ان يتخلى عن كل هذا ويتساوى مع عبد ، لا يملك تاريخا كتاريخه او نسبا كنسبه او فروسيةً كفروسيته ، كرفض زينب بنت جحش وأخوها ، الزواج من اسامة بن زيد وقولها: ((أُزَوِّجُ نَفْسِي رَجُلا كَانَ عَبْدًا بِالأَمْسِ)) (ابن ابي الزمنين، ١٤٢٣هـ، ٣/ ٤٠١) .

ان اعتداد العربي بنفسه وانفته وغروره وعناده وطبيعته القاسية القائمة على طلب الثأر والغلبة، تأبى الانقياد الى دين يدعو الى التسامح والمساوة والتواضع، لذا كان امتهانه للعبيد والموالي واظهار سمو قدره عنهم لا زالت حتى بعد ألغاء الاسلام لهذه الفوارق الجاهلية والدليل على ذلك كثرة مثل هذه المواقف في الروايات.

ان نظرة العرب المتعالية الى الموالي كانت في الجاهلية ولازالت في قلوب بعض الصحابة، على الرغم من الجهود الجبارة التي بذلها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في المؤاخاة والأحاديث الكثيرة التي كانت تؤكد على توطيد وتعزيز الأخوة الاسلامية وتقديمها على الاخوة النسبية ، والتي سنتناول قسما منها في الفصل الرابع من هذا البحث،

وعن الصادق (عليه السلام) ان جماعة من قريش كانوا جالسين في المسجد وفيهم سلمان، وهم ينتسبون ويفتخرون بأنسابهم فقال عمر بن الخطاب لسلمان، من انت ومن ابوك وما اصلك؟ (الكليني، ١٣٦٣ ش ، ٨/ ١٨١)

لو تأملنا قليلا لوجدنا ان دافع عمر – ان لم نقل الجميع – في سؤال سلمان عن نسبه هو النيل منه لا غير، وذلك لعدة امور منها انهم يعرفون نسب سلمان جيدا، فليس هناك حاجة لسؤاله، الأمر الآخر ان نسب سلمان منحط في نظرهم نسبة الى اصلهم العربي المميز، لذا كان سؤاله لغرض اذلاله، امر آخر هو ان تفاخرهم وهم جميعا قرشيون ولا احد فيهم يجهل نسب الآخر ومآثر أجداده، ومثالبهم، فلم يكونوا بحاجة للانتساب والتفاخر، الا لإحراج سلمان، وقد أدرك سلمان نزعتهم الجاهلية فاختار لها الجواب الذي افحمهم جميعا، وبين فيه انتمائه للإسلام ومنهجه ، وانغماسهم في الجاهلية وحميتها ، إذ قال : ((أنا سلمان بن عبد الله ، كنت ضالا فهداني الله عز وجل بمحمد (صلى الله عليه وآله) ، وكنت عائلا فأغناني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) ، وكنت مملوكا فأعتقني الله بمحمد (صلى الله عليه وآله) ، هذا نسبي وهذا حسبي)) (الكليني، ١٣٦٣ش، ٨/ ١٨١).

وكذا ما جاء في وقوع خصومة بين سلمان الفارسي وبين رجل ، فقال له الرجل : ((من أنت يا سلمان ؟ ! فقال سلمان : أما أولاي وأولاك فنطفة قذرة ، وأما أخراي وأخراك فجيفة منتنة ، فإذا كان يوم القيامة ووضعت الموازين ، فمن ثقل ميزانه فهو الكريم ، ومن خفت ميزانه فهو اللئيم)) (الصدوق، ١٤١٧هـ ، ص ٧٠٨) ، فالرجل اراد ان يجر سلمان الى الانفعال والعصبية، من خلال استصغار شأنه بهذا السؤال.

لذا نجد ان دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم تجد آذانا صاغية، وقوبلت بالتجاهل والاستنكار والرفض، فكان أحدهم كالجواد البري الجامح الذي يرفض الترويض، بهذا الوصف كانت قلوب النسبة الغالبة منهم، فهو قليل الاستقرار، لا يخضع لقانون الا قانون قبيلته.

٢ـ فقدان الهوية

لم يكن التغيير الذي أحدثه الإسلام طفيفاً، فقد كانت حالة من الانقلاب على النفس وأهوائها، حالة من كبح جماح الهوى بعد قرون من الانسياب خلف الشهوات والأهواء المتبعة، حينما نقرأ تاريخ ما قبل البعثة، نجد إن ما يقوم به العربي هو ما تمليه عليه رغبته ـ ليس في الصفات الذميمة فحسب ـ بل في الصفات الحسنة كذلك، مثل الكرم والشجاعة والقوة والنجدة، لقد كانت طبعٌ فيه، جُبلت عليه نفسه التواقة إلى المدح والثناء، والتباهي، والاستطالة، لم يكن يفعل ذلك لأنه حسنٌ بذاته، بقدر ما هو مجلبة للمدح والثناء، وما رواه عدي بن حاتم قال قلت : ((يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل له في ذلك؟ يعني من أجر قال إن أباك طلب شيئا فأصابه)) (ابن عساكر، ١٤١٥هـ ، ١١/ ٣٦٠) ، وفي رواية: ((إن أباك كان يحب أن يذكر فذكر)) (المتقي الهندي، ١٤٠٩ هـ ، ٦/ ٤٥١) ، ولقد حاز الكثير منهم مكانته عن طريق تلك المواهب الشخصية، فظهور معيار آخر للتفضيل، يعني أن يبدأ من الصفر، في سباق يعتمد الفوز فيه على التقوى والصبر، وهو سباق لا يجدون في أنفسهم الرغبة لخوضه.

ومن الروايات التي تؤيد ذلك، ان خالد بن الوليد كان يغلظ لعمار بن ياسر بالقول، فشكاه عمار الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلحقه خالد وأخذ يغلظ له بالحديث ويزداد غلظة عليه بمحضر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والنبي ساكت لا يتكلم، فبكى عمار، فرفع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) رأسه ، وقال : ((من عادى عمارا عاداه الله ، ومن أبغض عمارا أبغضه الله)) (ابن ابي شيبة، ١٤٠٩ هـ ، ٧/ ٨٩) ، ان المنزلة الكبيرة التي يحظى بها رجل معدم كعمار بن ياسر – وهو من الموالي– لدى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين، والتي تفوق المنزلة التي يحظى بها الكثير من العرب لديه ،واحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الكثيرة في مدحه (ابن حبان، ١٤١٤هـ ، ١٥/٥٥١–٥٥٢) والتي لم يحظ بها حتى كبار الصحابة من العرب الذين كانوا من زعماء قومهم ، اثارت حفيظة البعض ، وحركت هذا النفس العربي العنصري في نفس خالد، فهو لا يرى الا نفسه، لذا كان الانتقاص من عمار، يلبي له بعض هذه النوازع في داخله.

كما أن لهذا المعيار الجديد (التقوى) في التفاضل بين المسلمين أناس، أقدر من غيرهم على الارتقاء فيه، وهو أقرب لسجيتهم وما اعتادوا عليه قبل البعثة، وهم العبيد والفقراء، أن ما عاشه هؤلاء العبيد والمعدمين، يجعل تفوقهم فيه في المتناول، فهم أصبر، وأقدر، ولا يحتاجون فيه إلا نية التقرب الى الله بحياة الجوع والحرمان التي كانوا يعيشونها قبل البعثة، فلا جديد، والأمر مختلف بالنسبة الى علية القوم من الأثرياء، روى الصادق عليه السلام: « جلس رجل موسر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فجاء رجل معسر وجلس الى جانبه، فقبض الموسر ثيابه ، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : أخفت أن يمسك من فقره شيء أو يوسخ ثيابك ؟ قال : لا إن لي قريناً يُزيّن لي كل قبيح ويقبّح لي كل حسن ، فأعطى نصف ماله للفقير، فرفض الفقير وقال أخاف أن يدخلني ما دخلك من الكبر (الكليني، ١٣٦٣ش، ٢/ ٢٦٢–٢٦٣) .

لقد اختلفت الموازين، لم يعد المال والعشيرة هما مقياس الغنى والعزة للمرء بل قد يصبح المال مذموما ومرفوضا من فقير لا يستطيع سد رمقه، كما في الرواية السابقة، وعلى الرغم من ذلك، يوجد بعض الشواذ، من اصحاب الثراء قبل البعثة، بلغوا درجة عالية من الايمان، كمصعب بن عمير مثلاً ، فقد ذكر بعض آل سعد بن أبي وقاص قال: ((كنا قوما يصيبنا صلف العيش بمكة مع رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك وصبرنا له، وكان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبويه، ثم لقد رأيته جهد في الإسلام جهدا شديدا حتى لقد رأيت جلده يتخشف تخشف جلد الحية عنها، حتى أن كنا لنعرضه على قسينا فنحمله مما به من الجهد، وما يقصر عن شيء بلغناه ثم أكرمه الله عز وجل بالشهادة يوم أحد)) (ابن اسحاق ، ٤/ ١٧٣–١٧٤) .

٣ـ اليأس من الزعامة

ان شخصية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، لم يكن لها منازع لدى المسلمين، وكل من عداه هم شخصيات ثانوية، مهما بذلوا من جهد، ومهما كانت منزلة قبائلهم رفيعة، لن يكون أي منهم الشخصية الأولى، فهم أمام نبي أخذ مكانته من السماء، لم يحصل عليها نتيجة تحليه بالصفات التي يمكن منافسته فيها ولو كان كذلك لهان عليهم الأمر، وهذا بالتأكيد لا يلائم حب الظهور، والهيمنة، والغلبة، الذي كان سائدا آنذاك، لاسيما وان بعضهم كان قاب قوسين من الزعامة، فسلبه الإسلام إياها، ولعل ما قاله أسيد بن حضير للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، عن عبد الله بن أُبي بن سلول، وكان سيد الخزرج قبل الإسلام ((يا رسول الله، ارفق به، فو الله لقد جاء الله بك، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا)) (الطبري، ١٨٧٩م، ٢٨/ ١٤٧) ، فهؤلاء كانوا يرون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ملكا سلبهم ملكهم، وليس نبياً مرسلا من السماء، اختاره الله لينقذ الناس من الضلال، فهو منافس أسقط من أيديهم كل أدوات الغلبة، بل يرى ان تنحيته عن الزعامة اهانة كبيرة يأنف ان يتقبلها ويتعايش معها، لذا يحاول الثأر من هذه الزعامة الجديدة ومحاولة افشالها، وهذا يبرر عزمة على اخراج المهاجرين من المدينة ووصفهم والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالأذل ووصف نفسه بالأعز، عن الواقدي قال: بينما المسلمون على ماء المريسيع، وهو ماءٌ شحيح فأرسل سنان بن وبر الجهني وهو حليف للأنصار، وجهجا أجيرا لعمر بن الخطاب ، فكلاهما أدلى بدلوه فخرجت احدى الدلوين مملؤة فادعاها كل منهم، فبلغ الأمر ان رفع جهجا يده فضرب سناناً فسال الدم فنادى : يا آل خزرج ! فنادى جهجا، يا آل قريش فغضب ابن أبي غضباً شديداً وكان مما ظهر من كلامه وسمع منه أن قال : ((والله ما رأيت كاليوم مذلة ! والله إن كنت لكارهاً لوجهي هذا ولكن قومي غلبوني ! قد فعلوها قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا وأنكروا منتنا، والله ما صرنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل " سمن كلبك يأكلك ... والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل)) (الواقدي، ١٤٠٥ هـ ، ١/ ٤١٦) ، فقال ابن ابي ما قال، ونزل القرآن الكريم بتوبيخه على ما قاله من توعد وتهديد، وان الله ورسوله والمؤمنين هم الأعز، ووصفه تعالى بالنفاق، قال تعالى: {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون: ٨] .

ولم يكن ابو سفيان اقل غلا وحقدا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا قال للعباس حينما رأى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المهاجرين والأنصار وهم يدخلون مكة يوم الفتح ((لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما)) فقال له العباس انها النبوة وليس الملك (الطبري، ١٨٧٩ م ، ٢/ ٣٣٢) .

كان ابو سفيان يرى سلطته وملكه يزول، بعد ان كان سيد مكة الأول، اصبح أمره بيد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان شاء عاقب وإن شاء صفح، لذا حاول العباس ابن عبد المطلب، تصحيح نظرته للأمر، وهو أن ما يراه هو النبوة وليس الملك، انه حكم الله وليس حكم بشر، وليس في التذلل والاستكانة له عيب او منقصة، فعليه ان يذعن له، لأنه أمر السماء، والله غالب على أمره.

ثم نادى منادي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((من دخل دار ابي سفيان فهو آمن)) (مسلم النيسابوري، ٥/ ١٧١) ومن سماحة الاسلام وقائده، أن جعل دار الد اعدائه مأمنا لمن أوى إليها (المنتظري ، ١٤٠٨هـ ، ٢/ ٧٩٤) ، بعد ان أسلم ظاهرا، ومع هذا نجد ان ابا سفيان لا يفكر الا بالزعامة المسلوبة، وان الملك اضحى في بني هاشم، وهي نعرة عصبية جاهلية، ترفض الانقياد ولاسيما كونه كان سيد مكة، وهو ما ذكره ابن خلدون بأن العربي يأنف ان ينقاد لرئيس ولو كان اباه او اخاه أو رئيس قبيلته (ابن خلدون، ١٣٩١ هـ ١/ ١٥٠-١٥١) . فكيف يكون الحال اذا كان خصومه التقليديين قبل البعثة هم اصحاب الرئاسة، لا شك انه امر لا يحتمله مثل ابي سفيان.

٤ـ الحسد:

ان الحسد من اهم الآفات الاجتماعية التي تئد الكثير من الدعوات الإصلاحية في مهدها، ليس لكون هذه الدعوات غير نافعة، او غير مخلصة، بل لأنها انطلقت من جهة بعينها، أو إنسان بعينه، فيُستهزئ به، ويُشكك في نواياه، وتتهاوى عليه الاتهامات، وهذا ديدن جميع المجتمعات التي تعيش حياة جاهلية، قال تعالى : {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ...} [النساء: ٥٤] ، وقد ذكر القرآن كلام قوم نوح: {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ } [المؤمنون: ٢٤] ، {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [البقرة: ١٠٩] .

كذا ما قاله قوم موسى لموسى: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ} [البقرة: ١٠٩] ، نلاحظ من خلال الآيات القرآنية الشريفة ان الحسد وخوف الغلبة كان من العقبات المؤثرة في طريق المصلحين ومناهجهم الإصلاحية، والتي تدفع ذوي النفوس المريضة الى مناصبة العداء لهم، ومحاولة تفريق الناس عنهم.

وقد تظافرت الروايات انه حين بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مكان بالقرب من الجحفة يقال له : غدير خم في الثامن عشر من ذي الحجة ، قام خطيبا وأخذ بيد امير المؤمنين (عليه السلام) فقال : ((ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! قال : فمن كنت مولاه ، فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)) (اليعقوبي، ٢/ ١١٢) ، فيا لها من منقبة عظيمة، تثير الضغينة والحسد في النفوس المريضة، ولم يقف الأمر عند هذا الحد من الوصية بعلي (عليه السلام) خاصة بل تجاوز الأمر الى جميع عترته، حيث قال: ((أيها الناس أني فرطكم وأنتم واردي على الحوض ، وإني سائلكم ، حين تردون علي ، عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما . وقالوا : وما الثقلان يا رسول الله ؟ قال : الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم ، فاستمسكوا به ولا تضلوا ، ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي)) (اليعقوبي ، ٢/ ١١٢–١١٣) ، ان هذا التميّز اثار حفيظة القوم وغلا الحسد في صدورهم ومن تبعهم، حتى بلغ الأمر ان قيل للزهري لا تحدث بحديث الغدير بالشأم وأنت تسمع بأذنيك سب علي فقال والله ان عندي من فضائل على ما لو تحدثت بها لقتلت (ابن الاثير، ، ١/ ٣٠٨) ، فلماذا يقتل حين يحدث عن فضائل خليفة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في دار الاسلام؟

ولم يُخفِ الصحابة حسدهم لعلي (عليه السلام) أو ينكروه، ومنها ما حدث يوم خيبر وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى فغدوا كلهم يرجوه فقال أين على؟ فقيل يشتكي عينيه فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كان لم يكن به وجع فأعطاه الراية)) (البخاري، ١٤٠١ هـ ، ٤/ ٢٠) ، ولا يخفى ما في هذا التفضيل إثارة للحسد في نفوس من يمنون انفسهم بالزعامة او على الأقل ان يكونوا في هذا الوقت بمنزلة وصيف القائد، ولا شك ان قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)، فيها من التكريم والتنزيه ما لا يناله الا ذو حظ عظيم، لذا اشرأبت لها الأعناق، واذا بهم تتبدد أمانيهم باختيار امير المؤمنين (عليه السلام)، إذ ذكرت الروايات ((فلما كان الغد تبادر لها أبو بكر وعمر فدعا عليا وهو أرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء)) (ابن ابي عاصم ، ١٤١٣هـ ، ص ٥٩٤) ، قال عمر بن الخطاب ((ما أحببت الامارة الا يومئذ .. فتساورت لها رجاء ان ادعى لها .. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأعطاه إياها)) (مسلم النيسابوري، ٧/ ١٢١؛ ابن كثير، ١٤٠٨هـ ، ٧/ ٣٧٣) ، ومن الغريب ان يرجو كل من ابي بكر وعمر ان يُعطى الراية مع فشلهما في اول حملتين على خيبر، وعودتهما كل يجبّن اصحابه ويجبنونه، فقد ورد ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث ابا بكر ولم يفتح وقد جهد وبعث بعده عمر ولم يفتح وقد جهد (ابن كثير ، ١٤٠٨ ، ٧/ ٣٧٣) ، لكن

الحسد والوهم الذي كانوا فيه جعلهم بعيدين عن المنطق. ، وهذه المنقبة هي احدى ثلاث مناقب لعلي (عليه السلام) حسده عليها سعد بن ابي وقاص بأن لو كانت له واحدة منهن لكانت احب اليه من حمر النعم (النسائي، ١٤١١هـ ، ٥/ ١٠٨) .

كذا يتجلى الحسد في اتفاق أربعة من الصحابة على ان يرفعوا الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شكوى ضد الامام علي (عليه السلام) لإصابته جارية في احدى الغزوات حسدا له وبغضا فيه، حتى نهرهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والغضب بادٍ على وجهه بقوله: ((ما تريدون من علي ثلاثا، إن عليا مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي)) (ابن حبان ، ١٣٩٣هـ، ١٥/ ٣٧٤).

لقد اتفق القوم على اقصاء الامام علي (عليه السلام)، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يؤكد انه هو الولي والإمام وقد بين ذلك سلمان المحمدي حين احتج على القوم بعيد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين حسد القوم لعلي (عليه السلام) واقصائه عن الخلافة قائلا: ((عليكم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فوالله لقد سلمنا عليه بالولاية وإمرة المؤمنين ، مرارا جمة مع نبينا ، كل ذلك يأمرنا به ، ويؤكده علينا فما بال القوم ؟ عرفوا فضله فحسدوه ... فأين يذهب بكم أيها الناس ويحكم ... أجهلتم أم تجاهلتم ؟ أم حسدتم أم تحاسدتم ؟ والله لترتدن كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف)) (الطبرسي ، ١٣٨٦ هـ ، ١/ ١٥٢) .

وكذا كان للحسد دوره حين عقد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اللواء لأسامة بن زيد بن حارثة على جلة المهاجرين والأنصار ، وأمره بالتوجه لقتال الروم حيث قتل ابوه ...ومن الذين كانوا تحت قيادته أبو بكر وعمر ، وتكلموا فيه انه حدث السن ، فكان ابن سبع عشرة سنة فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((لئن طعنتم عليه ، فقبله طعنتم على أبيه ، وإن كانا لخليقين للامارة)) (اليعقوبي، ٢/ ١١٣) .

انها انعكاسات جاهلية ورواسب مادتها العوامل النفسية، فقد جعلهم حسدهم وأنفتهم يردوا قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعارضوه في الكثير من الموارد التي سيتناولها البحث في الفصول القادمة.

٥ـ تجذر العصبية وروح التنمّر:

ان الطبيعة السائدة في المجتمع الجاهلي، هي التعصب، والروح المتنمرة، المتذمرة، التي لا يكبح جماحها، ولا تتروى في الأقوال والأفعال، يمكن إهاجتهم بكلمة، يسبق سنان شبانهم حكمةَ شيوخهم، فقد تندلع حرب ضروس تمتد لعقود، بسبب كلمة فُسِّرتْ إساءة، فيقتل فيها ملك، كالحادثة التي قُتل فيها الملك عمرو بن المنذر بن ماء السماء على يد عمرو بن كلثوم ، وكان ضيفاً على الملك، حين سمع امه تقول من وراء الخباء (واذلاه يا آل تغلب) (ابن حبيب ، ١٣٦١ هـ ، ص ٢٠٣-٢٠٤؛ ابن الأثير، ١٣٨٦هـ ، ١/ ٥٤٨.) ، او ناقة رعت في غير مرعاها، فيقتل فيها ملك آخر، وتقوم حرب لأربعين سنة ، كحرب البسوس(ابو الفرج الاصفهاني ، ٥/ ٢٧-٣٠) ، أو غش في سباق خيل، فتقوم حرب أخرى لمدة أربعين سنة، كذلك حتى يهلك الحيان، كحرب داحس والغبراء، (ابن قتيبة ، ١/٦٠٦، ٦٠٧؛ ابن الاثير، ١٣٨٦هـ ، ١/ ٥٧٠) ، فأين هذا من روح الإسلام القائمة على العدل والتسامح وعدم قتل النفس الا بالنفس، ولا يقتل الا القاتل، ونصرة المظلوم ـ وإن كان فقيرا ضعيفا ـ على الظالم ـ وإن كان غنيا، شديداً ـ وتحكيم منطق العقل والحكمة على القوة والطيش، لذا كان ترويض هذه الطباع وتطبيعها على صفات أخرى كالحلم والسماحة ـ وان كانت موجودة لدى قلة قليلة منهم ـ يعد غاية في الصعوبة.

ولعل ما حدث بين الأوس والخزرج من مشاحنات بسبب، دسائس اليهود (الزيلعي، ١٤١٤هـ ، ١/ ٢٠٩) وتذكيرهم بحروبهما في الجاهلية ولاسيما يوم بعاث (ابن الأثير، ١٣٨٦هـ ، ١/ ٦٨٠-٦٨١ ؛ هاشم البحراني، ١٤١١ هـ ، ١/ ٨٦)

والاشعار التي قيلت بينهم، كادت ان تفضي الى حرب بينهما لولا تدخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقوله: ((...أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟...)) (الطبري، ١٤١٥ هـ ، ٤/٣٢-٣٣؛ ابن حجر، ١٤١٨هـ ، ٢/٧٢٣).

ان انجح طريقة يمكن ان يتخذها اعداء الاسلام لضرب الاسلام هي اثارة الخلافات والعداوات في معسكر المسلمين، وكون الأوس والخزرج هم المكون الرئيسي لدولة وجيش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، لذا كان ضرب احدهما بالآخر خطة خبيثة لجأ اليها اليهود، عن طريق تذكيرهم بإحدى معاركهم في الجاهلية وهو يوم بعاث، واثارة العصبية الجاهلية فيهم، وتذكيرهم بقتلاهم وقاتليهم، حيث قتل في هذا اليوم صناديد الاوس والخزرج (ابن الأثير، ١٣٨٦هـ ،١/٦٧٢-٦٧٣) ،وكم حذر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المسلمين من خطر العصبية الجاهلية ودعى الى نبذها لأنها منتنة فقد روى جابرا بن عبد الله قال:((كان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريا – ضربُ يده او دبره– (الفراهيدي، ١٤١٠هـ ،١/١٩٢) فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ما بال دعوى أهل الجاهلية ثم قال ما شأنهم فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري قال فقال ((النبي صلى الله عليه وسلم دعوها فإنها خبيثة)) (البخاري، ٤/١٦٠؛ ٦/ ٦٦؛ مسلم النيسابوري، ٨/ ١٩) .

كما برزت هذه الصفات الجاهلية في قتل خالد بن الوليد لبني جذيمة، دون ان يراعي ارساله من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) داعيا الى الاسلام وليس مقاتلا، ودون ان يلتفت الى قولهم انهم مسلمون ويصلون الصلاة ويرفعون الآذان ، فأمرهم ان يستأسروا بعد ان أمنهم، ثم امر بقتلهم ليلاً ، وحينما بلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك قال: ((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد))(ابن سعد، ٢/ ١٤٧) .

لقد كان فعل خالد هذا لثأر بينه وبين القوم في الجاهلية، حيث انهم كانوا قد قتلوا الفاكه بن المغيرة عم خالد، وهذا ما قاله له عبد الرحمن بن عوف بمحضر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (ابن الأثير ، ٣/ ٣١٦) ، ولذات السبب قتل بنو سليم من كان في ايديهم منهم، اذ ان بينهم وبين بني جذيمة ثأر في الجاهلية (الواقدي، ١٤٠٥ هـ ، ٢/ ٨٧٨).

ان هذه الروح المتنمرة ، غير المبالية بالقتل، والمتمردة على اطاعة امر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، له بالدعوة الى الاسلام وعدم القتال، انها الروح الجاهلية التواقة للقتل، البعيدة كل البعد عن روح التسامح والرحمة والسلم التي يدعو لها الاسلام، وكان استجابة بنو سليم لأمر القتل سريعة لدواعي جاهلية ايضاً الا وهو الثأر.

وما يؤكد ذلك قول أبي قتادة : ((لما نادى خالد في السحر : من كان معه أسير ، فليدافه – يجهز عليه– (ابن سلام، ١٣٨٤ هـ ، ٤/ ٣٢. ابن منظور، ١٤٠٥ هـ ، ٩/ ١٠٥) ، أرسلت أسيري ، وقلت لخالد : اتق الله ، فإنك ميت ، وإن هؤلاء قوم مسلمون ، قال : إنه لا علم لك بهؤلاء)) (الذهبي ، ١٤١٣ هـ ، ١/ ٣٧١).

ومن الحمية الجاهلية رد عمر لسلمان حين جاءه خاطبا، فقد روى خزيمة بن ربيعة قال : ((خطب سلمان إلى عمر فرده ، ثم ندم فعاد إليه فقال : انما أردت أن اعلم ذهبت حمية الجاهلية عن قلبك أم هي كما هي)) (الطوسي، ١٤٠٤هـ ، ١/ ٦٢).

ان ردة فعل الانسان الأولى تظهر ما في قلبه(وهو امر يُعرف بالوجدان) اما ما تلاها، فهي نتيجة لتفكير وتدبر، وموقف عمر هنا يبين ان حمية الجاهلية التي ترى ان منزلة العرب فوق بقية الأجناس، فيأنفون من العجم والموالي والعبيد، ويرون انفسهم اعلى مرتبة وأرفع شأنا، وجواب سلمان له(انما أردت أن اعلم ذهبت حمية الجاهلية عن قلبك أم هي كما هي) يبين ان حمية الجاهلية لا زالت في نفس عمر، اما رجوعه اليه فربما كان لنظره في عاقبة ما فعل وتدارك الأمر قبل ان يصل الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مما يسوؤه وربما تعرض للتوبيخ من الوحي او النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على رده لسلمان مع فضله وسمو قدره.

موضع آخر يؤكد لنا ما في نفس عمر بن الخطاب إزاء سلمان المحمدي، هو ما روي((ان سلمان الفارسي دخل مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فعظموه وقدموه وصدروه إجلالا " لحقه وإعظاما " لشيبته واختصاصه بالمصطفى وآله ، فدخل عمر فنظر إليه فقال : ((من هذا العجمي المتصدر فيما بين العرب)) (المفيد، ١٤١٤ هـ ، ص ٣٤١).

ان هذه النظرة الفوقية التي ينظر بها عمر لسلمان تبيّن التعصب القومي الذي في نفس عمر تجاهه، على الرغم من عظمة سلمان وعلمه وورعه ، والذي من المفترض ان تكون هذه الصفات التي يتصف بها سلمان كفيلة ان تجعل عمر وغير عمر ان يجلّوه ويعظموه لا ان يقللوا من شأنه، وينالوا منه لتصدره على العرب، وكأن العرب في مرتبة أعلى من غيرهم ، وقد برزت هذه العصبية الجاهلية في اعلى مراتبها بعيد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، (الكليني، ١٣٦٣ ش ، ٥/ ٣١٩).

هذا من جانب، ومن جانب آخر ان تعظيم سلمان وتقديمه، يثير الحسد في نفوس الآخرين ممن يحبون التصدر وتزعم الآخرين، وحتى الذين ليس لهم مطمع في ذلك، لكنهم يتخذون جانب القوي، صاحب الطموح ، رغبة أو رهبة.

مما جعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يرتقي المنبر لينصف سلمان الفارسي بقوله: ((الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط ، لا فضل للعربي على العجمي ولا للأحمر على الأسود إلا بالتقوى ، سلمان بحر لا ينزف ، وكنز لا ينفد ، سلمان منا أهل البيت ، سلسل يمنح الحكمة ويؤتى البرهان))(المفيد، ١٤١٤ هـ ، ص٣٤١: جعفر مرتضى العاملي، ١٤٢٣هـ ، ١/ ٢٤٥.).

ثانياً: العامل التاريخي:

لم يكن للعرب في تاريخهم دولة تنظم علاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قبل مجيئ الاسلام، ولما كانت بيئة العرب معظمها قاحلة قليلة العطاء، فقد جعل ذلك الصراع من اجل البقاء هو القانون السائد، وكانت كل قبيلة مستقلة في قراراتها، لا يكاد يجمع بينها وبين القبائل الأخرى الا ما تفرضه المصالح الآنية.

لقد تكونت منظومة العرب الفكرية وترسخت في نفوسهم وعقولهم، نتيجة لعصور متطاولة، وكانت عفوية، ارتجالية، عضلاتية، يستفزها كل ما يطلب منها مالم يكن يتلاءم مع ما تهواه، وقد مر بنا كلام ابن خلدون، لقد كانت تنمو عضلاتهم دون عقولهم،

ان الفترة الطويلة التي امتدت منذ وفاة النبي عيسى (ع) الى بعثة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هي فترة يعتقد البعض انها فترة فراغ ، كما إن العرب لم يبعث فيهم نبي من قبل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل لم يبعث في غيرهم كذلك على المدى القريب من زمن بعثة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلم يكونوا يفهمون معنى النبوة، أو وجوب ومقدار الطاعة الواجبة للأنبياء، فكانوا يتعاملون معه كتعاملهم مع بعضهم البعض، وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ...} [النور: ٦٣] ، وقوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات:٢] .

إن عدم المعرفة بمنزلة ومقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكثير منهم، لا يجعلهم مدركين لوجوب الأخذ عنه، ولعل الكثيرين منهم كانوا يتصورون النبي المبعوث من الله لا يكون على هيئة بشر قال تعالى: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ } [الأنعام: ٩١] ، وان كان كذلك، فليس لبشر ادركوا طفولته وشبابه، وكان بينهم يعدو ويلعب، بل كانوا يتوقعون ان يُبعث لهم بهيئة اسطورية اعجازية، كما ان اليهود كانت تثير قريش في ان يطلبوا من

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يأتي بمثل ما أوتي موسى (عليه السلام) تمرّدًا وتماديا في الغيّ (ابن أبي حاتم، ٩/ ٢٩٨٤؛ الطبري، ١٤١٥ هـ ، ١٩/ ٥٨٧) ، {... قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى...} [القصص: ٤٨].

كان هدف اليهود هو تكذيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ودفع المشركين ليطلبوا منه أعمال تعجيزية ، فأجابهم الله تعالى : { ... أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ } [القصص: ٤٨] ، فما تنفع الآيات وقد اجريناها سابقا وكفر بها اليهود ولم ينصاعوا لموسى، واتهموا موسى بأنه اسحر من السحرة الباقين، ويؤكد الله سبحانه وتعالى ذلك بقوله:: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ} [الإسراء: ٥٩] ، وضرب الله سبحانه الكثير من الأمثلة على ذلك ، [الأنعام: ٧، ١١١]؛ [الحجر: ١٤، ١٥] .

لقد حاولوا اليهود ان يوظفوا المعجزات التي جاء بها موسى (عليه السلام) والموثقة تاريخيا وقرآنيا، في تعميق الرفض لدعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان اثارة هذا العامل التاريخي، مع ما كان يرويه النصارى عن عيسى (عليه السلام) ومعجزاته، من شأنه ان يخلق الشك، مع ما كان يتسم به اهل مكة من تفكير مرتبط بالحس، فهم يريدون ان يشاهدوا بأعينهم ويلمسوا بأيديهم، ولو حدث ذلك كما ذكر القرآن الكريم ما كانوا ليؤمنوا، وانما هو امعان في الغي والرفض لما جاء به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ان هذه هي العقلية الجاهلية العنيدة، التي تأنف ان تخضع لرجل لم يكن من ساداتها، ولا ذوي الأموال والنفوذ فيها، قال تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [الزخرف: ٣١] ، والمقصود بالعظيم، الوليد بن المغيرة القرشيّ، أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي، والقريتين، هما مكة والطائف (ابن ادريس الحلي، ١٤٠٩هـ ، ٢/ ٢٥٣.).

هذه الابعاد والانعكاسات تؤكد الثقافة المغلوطة التي علقت في ذهن هؤلاء بقصد الاساءة الى الدعوة الجديدة ، بل ليس هذا فحسب وانما النظر الى الجانب المادي كأساس في الاستحقاق، أي ان الراسب الجاهلي والتثقيف اليهودي صور النبي المفترض بعقلية الجاهلية هو الزعيم الأكبر والأكثر مالاً.

ثالثاً: العامل السياسي:

كانت هناك قوى داخلية ـ كالمنافقين واليهود ـ وخارجية ـ كالفرس والروم وغيرهم ـ لا تريد للإسلام أن ينتشر ويتوسع، وقد شكلت هذه القوى تحدي فكريا، وعقائديا، وعسكريا وما كان يحاك من دسائس ومؤامرات، شكلت خطرا كبيرا على الإسلام ودولته الناشئة.

فتارة يستخدمون أسلوب تأجيج الفتنة بين المسلمين وايقاع الخلاف بينهم بغية اضعافهم، وهو ما حدث حين قام اليهود بدس رجل منهم للإيقاع بين الأوس والخزرج لعلمه بأنهم حماة الإسلام ومحتضنيه في تلك الفترة، وكادوا ينجحون في ذلك لولا حكمة وحنكة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي سارع لفض الخلاف بعد ان لاحت بوادر الخطر (الزيلعي، ١٤١٤هـ ، ١/ ٢٠٩) من وقوع حرب بينهم لا رابح فيها سوى أعداء الإسلام.

وقد علم اليهود ان جاهلية العرب تكمن في استفزاز (الأنا) في نفوسهم سواء على المستوى الفردي ام الجماعي، وفخر العربي بهذه الأنا، والتغني بمجده ومجد قبيلته بشكل طاغٍ، فهم لا يطيقون الانقياد والرضوخ لأي ملك، وقد بينا فيما مضى كيف انهم ينظرون للنبوة على انها ملك، في قول ابي سفيان للعباس: ((لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما)) (الواقدي، المغازي، ٢/ ٨٢٢؛ ابن طاووس، ص ٥٤) ويتجلى رفض العرب لكل سلطة في اشعارهم، ولعل معلقة عمر بن كلثوم في التغني بقومه وعزتهم سؤددهم، وفي ذلك القوة والمنعة، ويفخر بعصيانهم للملك وغزو الملوك حيث يقول:

وايــامٍ لنـــا غر طوالٍ عصينا الملك فيها ان ندينا

وسيد معشر قد توّجوه بتاج الملك يحمي المحجرينا

تركنا الخيل عاكفة عليه مُقَــلَّـــدة اعنَّـــتها صفونا (: الزوزني ، ص ١١٧)

ثم يعود في آخر ابيات معلقته يكرر فخره لعدم رضوخهم للملوك، وهذه العزة والقوة ليست على مستوى القبيلة فحسب، بل يجعل التميز على مستوى الفرد التغلبي كذلك، بحيث يجعل الجبابرة تسجد لكل تغلبي يبلغ الفطام، حيث قال:

اذا ما المَلْك سام الناس خسفا ابينا ان نقـر الذل فينا

(عمرو بن كلثوم ، ١٤١١هـ ، ص ٩٠)

ملأنا البـر حتى ضاق عنا وماء البحر نملأه سفينا

ذا بلــغ الفطــام لنا صبي تخر له الجبابر ساجدينا

(عمرو بن كلثوم ، ١٤١١هـ ، ص ٩١)

لقد خبت قوة العشيرة وسطوتها بعد مجيئ الاسلام، وهو ما يسوء الكثيرين من ارباب النفوذ من زعماء القبائل والملوك، فكان الاسلام هو العامل المشترك الذي تسبب بوهنهم، وتحجيم دورهم، كأبي سفيان، وعبد الله بن ابي، لذا فإن اثارة العصبية والحمية الجاهلية، والنزاع فيما بينهم هي الحل الأمثل لإعادة هيبتهم.

وكما كان دور المنافقين يتركز في الداخل عمل اليهود على نقض عهدهم مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في معركة الأحزاب حينما انضموا الى معسكر المشركين (الراوندي، ١٤٠٩م ، ١/ ١٥٨؛ الزحيلي، ١٤١٨ هـ ، ٣/ ٢٠٦) ، وذلك للقضاء على كل ما من شأنه ان يقوي شوكة المسلمين، اذ ان اليهود قديما وحديثا يرون أمنهم بإضعاف العرب والمسلمين، وما دام الدين يوحدهم ويقتل فيهم روح العصبية والحمية الجاهلية، فهو خطر محدق باليهود عليهم بذل كل ما يمكنه بذله من اجل القضاء عليه، واعادة العرب كما كانوا هائمين على وجوههم، لا هم لهم سوى الغزو والاقتتال.

ومن المواقف التي تبين الخطر الخارجي ومحاولة استغلال اي ثغرة للنفوذ من خلالها الى صفوف المسلمين او زرع بذور الفتنة والشقاق بينهم، وما حدث بعد مقاطعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين لكعب بن مالك وكان احد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك دون عذر، اذ جاء في الرواية عن كعب بن مالك انه كان يمشي بالسوق فإذا نبطي من الشام يسأل عنه، فدُل عليه، فدفع اليه كتابا من ملك غسان جاء فيه ((أما بعد فقد بلغني أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوانٍ، ولا مضيعةٍ، فالحق بنا نواسك ... فقلت حين قرأته : وهذا من البلاء أيضاً قد بلغ مني ما وقعت فيه أن طمع فيّ رجال من أهل الشرك)) (الواقدي، ١٤٠٥ هـ ، ٢/ ١٠٥١-١٠٥٢؛ ابن عساكر، ١٤١٥م ، ٥/ ٢٠٤) ، هذه الرسالة تبين مدى تربص الأعداء للمسلمين، واختيار الأوقات المناسبة للولوج الى الجسد الاسلامي، فقد استغل الوحدة والعزلة والهم الذي يعانيه كعب ليعرض عليه الكرامة والمنزلة الرفيعة.

لقد كان المنافقون واليهود وغيرهم يدبرون المؤامرات لأجل القضاء على دولة الاسلام الناشئة، اذ كانت مصالحهم مشتركة، وهي اعاقة انتشار الاسلام، وتوسع نفوذه من خلال خلخلة الوضع الداخلي للمسلمين وتشكيكهم بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقراراته، ومنها تثبيط هممهم عن الالتحاق بصفوف المجاهدين في غزوة تبوك فكان يقول بعضهم لبعض ((أتحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ! والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين)) (ابن هشام، ١٣٨٣ هـ ، ٤/ ٩٥١ . ينظر: الحلبي، ١٤٠٠ هـ ، ٣/ ١٠٣) ، وقد بلغ النبي (صلى الله عليه

وآله وسلم) اجتماعهم وكلامهم في بيت سويلم اليهودي في جاسوم، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طلحة بن عبيد الله ونفر من اصحابه، بأحراق البيت عليهم، ففعل ذلك طلحة (ابن هشام، ١٣٨٣ هـ ، ٤/ ٩٤٥).

ولم ييأس هؤلاء بل لجأوا الى وسائل خبيثة أخرى، ولكنها هذه المرة بلباس ديني، وهو بناء مسجد للصلاة فيه، وعدم الصلاة خلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ويتخذونه كوسيلة آمنة لاجتماعاتهم، بحجة انهم ينشئونه لأصحاب الأعذار، فقالوا : ((يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ،)) (الطبري، ١٤١٥ هـ ، ١١/ ٣٢) ، فكشفهم الله ونزل فيهم من القرآن { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [التوبة: ١٠٧].

نتائج البحث:

يمكن الخروج من هذه الدراسة بنتائج عدة ، يمكن اجمالها بما يأتي :

١ـ ان طبيعة العربي التي تتصف بالأنفة والتنمر وتوقها الى الحرية وعدم الانصياع الى رئيس أو قوانين من اهم العوامل التي ساعدت على ترسخ عادات الجاهلية وغلبتها عليه في بعض الأحيان .

٢ـ ان عدم فهم بعض المسلمين لأبعاد مقام النبوة ومقتضيات اتباعهم له ، ووجوب الطاعة المطلقة له ، جعلت الكثير منهم يقع في عدم الإذعان لأوامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) او الاعتراض عليه او التشكيك في قراراته.

٢ـ ان ظهور رواسب الجاهلية في سلوك المسلم، لم يكن عفوياً في الكثير من حالاته ، بل كان مدعوماً من جهات داخلية كالمنافقين واليهود ، وخارجية تتمثل بكل من يمثل الاسلام خطرا على نفوذهم ومصالحهم ، لذا تظافرت جهودهم من أجل توهين الاسلام وبثّ النوازع التي من شأنها اضعاف وحدة المسلمين ، والعودة بهم الى حالة الفرقة والتناحر والتقاتل التي سبقت بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

٣ـ على الرغم من تعدد الجهات التي عملت على اثارة رواسب الجاهلية وترسيخها ، الا ان الدور الذي كان يلعبه المنافقون في ذلك هو الدور الأبرز والأكثر تأثير والأبعد أثرا من بين القوى الأخرى ، بحكم ما كان يتمتع به قسم منهم من نفوذ اجتماعي واقتصادي وغطاء شرعي ، فهم مسلمون ظاهرياً ويعاملون معاملة المسلمين ، لذا كان التوقّي منهم ومن دسائسهم امر صعب ، لاطلاعهم على خصوصيات المجتمع المسلم بحكم تواجدهم فيه.

المصادر والمراجع

*** القرآن الكريم .**

- **ابن الاثير، عز الدين علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ، ١٢٣٢م)**

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، انتشارات إسماعيليان ، طهران (د.ت) .

٢. الكامل في التاريخ ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م

- **ابن ادريس ، ابوجعفر محمد بن منصور (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م)**

٣. المنتخب من تفسير القرآن ، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ط ١ ، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة ، قم ، ١٤٠٩هـ .

- **ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي(ت١٥١هـ ، ٧٦٨م)**

٤. السير والمغازي ، تحقيق محمد حميد الله ، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف دت .

- **البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩م)**

٥. صحيح البخاري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م.

- **ابن ابي حاتم، عبد الرحمن بن ابي حاتم بن محمد الرازي (ت٣٢٧ هـ / ٩٣٨م)**

٦. تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : أسعد محمد الطبيب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .

- **ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد (ت٣٥٤هـ / ٩٦٤م)**

٧. الثقات ، ط ١ ، مؤسسة الكتب الثقافية ، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد ، الدكن ، الهند ١٣٩٣ هـ.

٨. صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

- **ابن حبيب، محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (٢٤٥هـ ، ٨٥٩م)**

٩. المحبر ، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٣٦١ هـ .

- **ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي (ت٨٥٢ هـ ، ١٤٤٨م)**

١٠. العجاب في بيان الأسباب ، عبد الحكيم محمد الأنيس ، ، ط ١ ، دار ابن الجوزي ، السعودية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

- **ابن أبي الزمنين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى (ت: ٣٩٩ هـ)**

١١. تفسير ابن أبي الزمنين ، تحقيق : أبو عبد الله حسين بن عكاشة ، محمد بن مصطفى الكنز ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ١٤٢٣ – ٢٠٠٢م .

- **ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥م)**

١٢. كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط ٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ١٣٩١ هـ . / ١٩٧١ م

- **الذهبي، محمد بن احمد بن قيماز (ت٧٤٨هـ ، ١٣٤٧م)**

١٣. سير أعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، : حسين الأسد ، ط ٩ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

- **الراوندي ، قطب الدين (ت٥٧٣هـ / ١١٧٧م)**

١٤. الخرائج والجرائح ، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (ع) ، ط ١ ، مؤسسة الإمام المهدي ، المطبعة العلمية ، قم ، ١٤٠٩م .

- **الزيلعي ، أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (ت : ٧٦٢ هـ)**

١٥. تخريج الاحاديث والآثار ، تحقيق : عبد الله بن عبد الرحمن السعد ، ط ١ ، دار ابن خزيمة ، الرياض ، ١٤١٤هـ.

- ابن سعد ، ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري ، (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٤ م)

١٦. الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت)

- ابن سلام ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي (ت٢٢٤هـ -٨٣٨م)

١٧. غريب الحديث ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، ط ١ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن الهند ١٣٨٤ هـ .

- ابن أبي شيبة الكوفي ،أبو بكر عبد الله بن محمد (ت٢٣٥هـ / ٨٤٩م)

١٨. المصنف ، تحقيق وتعليق سعيد اللحام ، ط ١ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، مستكملة النص ومنقحة ومشكولة ومرقمة الأحاديث ومفهرسة / راجعه وصححه وأشرف على إخراجه : مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر

- الصالحي الشامي ، محمد بن يوسف (ت٩٤٢هـ ، ١٥٣٥م)

١٩. سبل الهدى والرشاد، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م

- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت٣٨١ هـ / ٩٩١م)

٢٠. الأمالي ، تحقيق تحقيق قسم الدراسات الاسلامية في مؤسسة البعثة ، ط ١ ، مؤسسة البعثة ، قم ١٤١٧ هـ .

- الطبرسي ، ابو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م)

٢١. الاحتجاج ، تعليق وملاحظات محمد باقر الخرسان ، دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف ، ١٣٨٦ هـ- ١٩٦٦ م

- الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م)

٢٢. تاريخ الأمم والملوك ، مراجعة وتصحيح وضبط : نخبة من العلماء ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، د.ت ، قوبلت هذه الطبعة على النسخة المطبوعة بمطبعة "بريل" بمدينة لندن في سنة ١٨٧٩ م .

٢٣. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ضبط وتوثيق وتخريج : صدقي جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .

- الطوسي، محمد بن الحسن (ت٤٦٠ هـ / ١٠٦٧م)

٢٤. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بعثت قم، ١٤٠٤هـ .

- ابن ابي عاصم ، الضحاك (ت ٢٨٧هـ / ٨٩٩م)

٢٥. السنة ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، ط ٣ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣ م<

- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

٢٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

- ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله ، (ت٥٧١ هـ / ١١٧٥م)

٢٧. تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ١٤١٥م

- عمرو بن كلثوم

٢٨. ديوان عمرو بن كلثوم ، تحقيق: اميل بديع يعقوب ، ط ١ ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

- الفراهيدي ، الخليل أبو عبد الرحمن بن أحمد (ت١٧٥هـ / ٧٩١م)

٢٩. العين ، تحقيق مهدي المخزومي ، ابراهيم السامرائي ، ط ٢ ، مؤسسة دار الهجرة ، ايران ، ١٤١٠هـ .

- أبو الفرج الأصفهاني ، (ت٣٥٦هـ / ٩٦٦م)

٣٠. الأغاني ، دار إحياء التراث العربي (د.ت) .

- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ / ٨٨٩ م)

٣١. تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية ، بيروت، د. ت .

- ابن كثير، اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م)

٣٢. البداية والنهاية ، تحقيق وتدقيق وتعليق : علي شيري، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠م)

٣٣. الكافي ، تصحيح وتعليق : علي أكبر الغفاري ، ط ٥ ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ١٣٦٣ ش .

- المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي (ت٩٧٥هـ / ١٥٦٧م)

٣٤. كنز العمال ، ضبط وتفسير : الشيخ بكري حياني ، تصحيح وفهرسة : الشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

- مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١ هـ / ٨٧٤م)

٣٥. صحيح مسلم ، طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة ، دار الفكر ، بيروت (د.ت) .

- المفيد، محمد بن محمد بن النعمان(ت٤١٣هـ / ١٠٢٢م)

٣٦. الاختصاص ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، محمود الزرندي ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣ م .

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)

٣٧. لسان العرب المحيط ، نشر أدب الحوزة ، قم ، ١٤٠٥ هـ / ١٣٦٣ ش

- النسائي، احمد بن شعيب (ت٣٠٣ هـ / ٩١٥م)

٣٨. السنن الكبرى ، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

- ابن هشام، عبد الملك (ت ٢١٣ هـ / ٨٢٨م)

٣٩. السيرة النبوية ، تحقيق وضبط وتعليق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م .

- الواقدي ، محمد بن عمر (ت٢٠٧هـ / ٨٢٢م)

٤٠. المغازي تحقيق مارسدن جونس ، نشر دانش اسلامي ١٤٠٥ هـ .

- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب الكاتب العباسي (ت٢٨٤هـ / ٨٩٧م)

٤١. تاريخ اليعقوبي، مؤسسة نشر فرهنگ أهل بيت(ع) ، قم ، دار صادر، بيروت (د.ت).

- احمد امين

٤٢. فجر الاسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط ٢ ، ١٩٣٣م .

- البحراني ، هاشم بن سليمان (ت١١٠٧هـ / ١٦٩٥م)

٤٣. حلية الابرار ، تحقيق : غلام رضا مولانا البروجردي، ط ١ ، مؤسسة المعارف الإسلامية – قم ١٤١١ هـ .

- الزحيلي ، وهبة بن مصطفى

٤٤. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، ط ٢ ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، ١٤١٨ هـ.

- الزوزني ، ابي عبد الله الحسين بن احمد(ت : ٤٨٦ هـ)

٤٥. شرح المعلقات السبع ، تحقيق : لجنة التحقيق في الدار العالمية ، د.ت .

- العاملي ، جعفر مرتضى

٤٦. المصطفى من سيرة المصطفى، تحقيق : حسن حراجلي، ط ١ ، المركز الإسلامي للدراسات، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣ م

- المنتظري

٤٧. دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، ط ١ ، مكتب الإعلام الإسلامي ، المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، قم ، ١٤٠٨ هـ .